

الحرية وأزمة المجتمع العربي

بقلم عزيز السيد جاسم

الحرية كقانون عام في الأشياء والانسان :

قبل الحديث عن الحرية كضمون انساني يتعين علينا فهم الحرية فهما طبيعيا ، وذلك عن طريق رصد وجودها في المخلوقات الحيية الالبشرية . وبكل بساطة نستطيع فهم معنى الحرية في هذا المجال على اساس انها (الحركة) . فالاشياء تمتلك حركتها الذاتية في تجاوز مستمر عن الحالات السكونية الطارئة . وهذه الحركة تعطي للمشيء وجوده الحي والتغير الذي يحمل في تضاعيفه احتمالات التحول . وقد أكدت (المادية الدايلكتيكية) ان (المادة) و (الحركة) متلازمان تلازما كليا ، فلا توجد هناك (مادة) بدون (حركة) لان ذلك يتطلب وجود (سبب خارجي) او (دفعة) تسبب الحركة - والدفعة الخارجية نفسها هي حركة مادة أخرى - كما وانه لا توجد (حركة) بدون (مادة) لانها (مرادفة لوجود فكر بدون دماغ) (1) والمادية الدايلكتيكية لم تستقرىء ذلك عن طريق المواضع التجريدية بل انها تاكدت هي وكافة معطياتها من خلال تطور (العلم) وتنامي (العمل البشري الاجتماعي) بشكل فني ومنظم .

وفي (البيولوجيا) قدمت الدراسات الموضوعية عن (العضويات) معلومات هامة عن الحركة العضوية وانتظامها الفريد مما دفع الوعي بالمادة والحركة الى مدى واسع . وعلى العموم فان الحركة انما تعني في مجمل معناها حرية الاشياء في ان تكون ولا تكون في نفس الوقت . وانتقلا من (الكينونة) الى مدرجات (الصيرورة) تتبدى هذه (الحركة - الحرية) كقانون رئيسي يستقطب الظواهر كافة في ديناميكية متصلة الحلقات . ولكن تظل هذه الحرية قاصرة من حيث انها حرية لا واعية وتدخل في صلب جواهر الاشياء العميقة . ولكن التطورات العضوية في الحقب الطويلة اكدت ان الاقتراب - في مسيرة التطور - من التمهيد لنشوء (الدماغ) يوفر نوعا من النشاطات العليا التي قد ينهها لها ان ترقى الى مستوى النشاط الذهني . وهذا نفسه يلقي ضوءا اكثر على الترابط بين (الحرية) و (العلية) و (الضرورة) ، مما يؤكد ان الحرية ليست مجرد صفة خارجية او حركة مقطوعة الجذر بل هي وجود كائن في حيز ، وجود هو نفسه سمة الاشياء التي تتحرك . وبذا فالعالم ومنذ البدء وبأكمله هو ملحمة (حرية) ، ملحمة حركة لا تتوقف وسريان مستمر .

والانسان كأرقى المخلوقات قد ورث الحرية عبر حركته هو وبصورة اكمل واكثر تعبيرا . فالحرية عنده ليست رأيا او اعتناقا توصل له كحل من انسب الحلول لتوكيد وجوده بل ان حريته هي عينها الحرية الكونية والحرية الطبيعية ، حرية الانسان الحجري ، وحرية الفرد ، وحرية الاكثرون ، وحرية النسخ صعودا أو نزولا .

هذه الحرية التي تنغل في اعماق الاشياء ، هي قانون الاشياء الاول . وهي تفرض نفسها في الانسان بكل موضوعية . ولكن الحرية عند الانسان تأخذ بعدا آخر اكثر عمقا واتساعا . فالحرية عنده تتأمن وتتعلقن . انها تتأمن فيما انها تتخذ شرطا انسانيًا فالحرية : (هي الوعي الذي يمتاز به الانسان عن ذاته في عنصر الممارسة . أي هي

١ - عن الموسوعة السوفياتية الكبرى - ترجمة الاستاذ ابراهيم

كبسه .

المعرفة التي يملكها انسان عن آخر بوصفه مساويا له) . - ماركس - (٢) . وهي في التأمن هذا تنماسك بالوعي الذي يعطي لها أفقها البشري والتاريخي ، على ان ذلك الوعي لا يمكن ان يتعزل في رفعة الذاتية بل هو الوعي ضمن الحركة الجماعية للانسان و (انما في الجماعة وحدها حرية الشخص ممكنة) - ماركس - .

والذي نخلص اليه هنا هو ان الحرية عند الانسان هي قانون عام سابق لوجود الانسان ومتطور لديه . وهو في تطوره الانساني استكمل حقيقته الانسانية بواسطة الوعي والممارسة الجماعية . ولكن هذا القانون العام لا يمكن - في وضعه الانساني - ان يتجرد نهائيا من معناه البدئي الاول - الحيواني ، الطبيعي - ولهذا تتجاذب الحرية احيانا موجتان : (العقلية) الجديدة والخلافة ، و (الفرائضية) الاولى والمتوترة . ومن خلال هذا الشد والجذب وبفعل التقسيمات الاجتماعية المعقدة ظهرت الالتباسات في (الحرية) كفهم وسلوك .

الحرية وتقسيم العمل :

في المرحلة الاولى للوجود الاجتماعي للانسان - مرحلة التحول من الحيوانية الى الانسان كعنى اول - كان الانسان عبارة عن حرية غامضة تلقائية . فالجو المشاعي البدائي كان تصويرا لحركة الانسان الاول في الغابة او في الجبل او في الحفر دونما قصد او هدف سوى ما يشبع حاجته الذاتية . وهو في وضعه ذلك كان لا يمتلك ولكنه يشير الى التطور الجيني لحرية الامتلاك . وعبر المراحل التطورية لحركة الانسان الجماعية وبعد ان ظهر العمل كقدرة واعية يستعملها الانسان لاجتياز رغباته الاصلية ظهر التقسيم الطبقي في البناءات الاجتماعية . ومنذ ذلك الحين اتخذت الحرية طابعا مزدوجا . فهي تخلصت من (العفوية) الاولى وخضعت للقيود الجديدة التي استلزمها الشروط الاقتصادية الوجودية والامتيازات الاجتماعية . ومع ذلك - وفي كسل عهد الرق والقنانة والنشوء البورجوازي الاول - كانت هناك حالة فردية ، هي حالة حرية (اللاتمتني) الذي يسعى للتمرد على ريب (الحرية) بالتقسيمات الجديدة التي اوجدتها الحركة المجتمعية . ولكن هذه الحالة الفردية شاذة وفاشلة مسبقا في اعطاء مضمون الحرية الاساسي دون ان تقوى - في تحصيل الحاصل - على التحرر تماما من التلازم بينها وبين قوانين المجتمع التطورية .

اذن فالحرية وبعد التقسيم الاجتماعي للعمل اكتسبت شيئين : اولاً : الواد من حيث انها فقدت معناها الذاتي بفعل ظهور الاضطهاد الطبقي . وثانياً : تشكل مفهوم جديد للحرية يتحدد عبر المطالبات الاجتماعية المتواصلة ضد العبودية واللاحرية . فلم يبق ازاء ذلك انسان حر او مجتمع حر بل بقيت فقط علامات نضالية من أجل الحرية ، وهذه العلامات انما تنبئ عن ازمة الانسان الممتلىء بحس الحب للحرية والذي يجد نفسه مخوقا في حدود بيئة مرسومة رغما عنه . وبظل التساؤل لدى هذا الانسان المأزوم : هل أنا حر حقا ؟ او هل امتلاك القدرة الكافية على ان اؤكد حريتي خروجاً معنوياً على كل ما هو مفروض علي مادياً ؟ وقد أجاب سارتر ، وتلخص جوابه في ان الانسان هو حريته . وهو يمارس ولوحد فقط التلذذ بحريته . فهو قد يكون (سجيناً)

٢ - العائلة المقدسة - كارل ماركس - .

ولكن هذا لا يمتنع أن (يقرأ أو يكتب أو يفني في السجن !)

و جواب سارتر هنا ينطلق من موقع الاعتداد الذاتي. وهذا الانطلاق جعله لا يميز بين نوعين أساسيين من أنواع الحرية ، نوعين افترضهما التقسيم الاجتماعي للعمل . فهناك : (الحرية الجوهرية والتاريخية) وهنالك (الحرية الثانوية) . والحرية الثانوية التي نتحدث عنها (سارتر) هي امتداد لحركة الكائن الانساني الطبيعية . أي هي (قوة) الذات في تحقيق وجودها . فما أهمية حرية السجن في أن (يتغوط) ازاء حقيقة أنه (سجين) ؟

ان التفاوتات الطبقية وما أوجدته من مقاييس جديدة واوضاع مقلوبة قد عرضت الحريات الجوهرية والاجتماعية التي شتى أنواع القسوة والامتهان ، بحيث أصبح أي حديث منفصل ومغزول اجتماعياً عن (الذات) وحريتها هروباً عن المسألة الرئيسية مسألة كيف يمكن للانسان أن يحافظ على حريته (الممرضة للاستلاب الدائم) في ظل المجتمعات الطبقية أ

البورجوازية ورؤيتها للحرية :

ان البورجوازية بالنسبة لما تحتويه من وفي مغاير جاءت كقوة تقدمية تاريخية قياساً الى ما سبقها من عهود . فالمطالم التي تمت في خضن النظام الاقطاعي كانت تشير الى الخطورة التي تتعرض لها البشرية ، هذه الخطورة التي باركتها الرجعية الدينية وبذلك شلت حريات عديدة وذات أهمية تاريخية . ولكن (الحرية) تتلمس مفهومها وطريقها الجديد حتى في أخطر فترات الؤاد . وعلى يد البورجوازية تمت الأثرثة الضرورية لاصابع الفكر السابق والرجعي . وشقت البورجوازية طريقها وراء شعارات كبرى (الحرية ، المساواة ، الاخاء .. الخ) . ويدهي ان البورجوازية عندما تؤكد على (الحرية) انما تتحرك في ذلك بحكم قانونها ومصالحها الاقتصادية . ولذا فهي لم تكن بالحرية الحقيقية (وذلك غير وارد في مخيلتها . ان (الحرية) التي ناضلت البورجوازية من أجلها هي الحرية التي تشكل امتداداً - دون تعارض - لحرياتها الاقتصادية وركائزها الأخرى ، في أن تتاجر أو تبخر أو تقيم النقل البحري أو تنشئ الورش والمصانع .. الخ ، مع ما يرتبط بذلك من وسائل حماية وجودها وتنميته .

ان الخطر الذي هدد الحرية سابقاً هو نفسه الذي يهددها في العهد الرأسمالي . ولكن (الاقطاع) المعتمد على الخرافة والتصنيف الجسدية في حفاظه على نفسه ، يختلف كثيراً عن (البورجوازية) المعتمدة على (العلم) في تثبيت مراكزها . وهذا العلم هو الذي أعطى للحرية معنى جديداً ، كما أنه خلق طرائق مغايرة للنضال ضد السيطرة الطبقية . ولهذا فالديمقراطية البورجوازية كانت أفضل بما لا حد له من الوضع السائد في الزمن الاقطاعي . انها توفير مجالات أوسع للحرية وتأكيد على أهمية الانسان فرداً وجماعة . ولكن ذلك كله يتم ضمن (الإرادة البورجوازية) و (التصور البورجوازي) .

في حين ان التصور الانساني الحقيقي للحرية هو صياغة جديدة معاصرة وعلمية للحرية التلقائية التي كان يمارسها الانسان في عصر (المشاعية البدائية) . والبورجوازية اذ تعي جيداً طبيعة الحرية التي نهما فيها لا تتورع عن تقديم تحريجات وتحليلات جديدة عن الحرية مستعملة كل ما في قاموسها من صفات مثيرة لعلها تستطيع بذلك طمس معالم الحرية العمادقة . ولكن الطابع البراجماتي المميز لها واولوية مهمة تجميع (رأس المال) لديها لا يحجب ابداً حقيقة الفس الذي تتعرض له الحرية من قبل السيطرة البورجوازية الطبقية وتحت تسمية (الانسانية) و (الاخلاق) .

لماذا يستحيل وجود (الحرية) في ظل الرأسمالية ؟

ان المعطيات البورجوازية التقدمية الاولى التي قدمتها البورجوازية ابان نشوئها الثوري كحامل ممول دفن الاقطاع لم يقدر لها الالتصاق بالانسان بشكل كلي ، لان المفاهيم عموماً والعلاقات انما تتقرر بموازين

الشبكة الطبقية ، ومن هي الطبقة السائدة فترتد . والبورجوازية لانها في أول عمرها يهملها ان (تتحرر) من سيطرة الاقطاع فهي وبالضرورة ترفع شعار (الحرية) ولكنها وبعد ان تثبت مواقعها وتستلم السلطة السياسية تتحول الحرية الى طاقة مضادة تبيع للقوى الأخرى (عمال ، فلاحين ، برجوازية صغيرة ...) ان يواجهوها بعماد . ولذلك فهي لا تتورع عن سن قوانين كابحة ولا يضيئها ان تلجأ الى (الكارثية) أو الى القمع الفاشستي لادامة سيطرتها .

اننا لا نستطيع الى جهد كبير لنذكر ما معنى حرية البورجوازي . انها حريته في ان يستقل ، في أن يحتكر ، في ان يقلص أجور العمال ، في ان يطيل ساعات العمل ، في ان يتلاعب بالاسعار ، في ان يلجأ للمضاربة وينشئ السوق السوداء ويفذي ظروف الحرب .. الخ . هذه هي الحرية عند البورجوازي ، ويلحق بها السياسة الشيطانية ، والفكر السموم والمخرف ، واغراق المناقبة في بثر جوعه النهيم لاكتناز المال ،

ومن الجانب الآخر تتحرك الاشياء الحاسمة والتاريخية . فهناك الاثرية : العمال الذين يشكلون القوة الحقيقية والوحيدة التي تقوم بالانتاج ويقتصب منها الرأسمالي قوة عملها . فالعمال يفكرون بالتحرر كما فكر البورجوازي في بدايته . وهم يريدون إعادة النظر في تاريخهم . فالحرية لديهم تعني أن لا يظلموا اجراء . ومن هنا يحصل التنازل المتضاد : بين القلة البورجوازية المستقلة - بكر الفين - والمترفرة والطفيلية الترهلة ، وبين الكثرة الكادحة والمسوبة الحقوق . واذ يصعب على البورجوازي أن يتوصل الى مخرج (كان ينمي الأرستقراطية العمالية ويوجد قطاعات عمالية تشارك في المائدة البورجوازية ، أو كان يلجأ الى وسائل عقلية متعددة ..) فانه تتحرك لديه (حرية حيوانية) تستعمل فنون البطش والارهاب والابادة ضد العمال عند النظار من أجل حقوقهم المشروعة .

فالحرية اذن خدعة ذهبية تدعي بها الرأسمالية مع ان استعالة وجود الحرية الانسانية الحقيقية تنقر يومياً وعبر الكثير من مظاهر البطالة وفوضى الانتاج والسرقات العنيفة والاضطرابات والتمييز العنصري والاعتداءات الارهابية .

قسمة المجتمع العربي التطورية :

والمجتمع العربي لا ينفصل بأي حال من الاحوال عن السياق التطوري العالمي ولكنه في ذلك انما يؤكد خصائصه الذاتية . ولعمل الضغط الخارجي ، ضغط التضخم الحضاري الرأسمالي على المجتمع العربي المتخلف ، قد ولد ظاهرة عامة هي ظاهرة الاختلاط بين الحركات الانتاجية ودرجاتها الاجتماعية . وهذا الاختلاط (البورجوازي - الاقطاعي - الشبه بورجوازي - الشبه اقطاعي - البدوي) رسم قسمة خاصة للمجتمع العربي وانشأ ضغطاً هائلاً على الانسان العربي الذي اضحى محاصراً في عدة جهات ، داخلية وخارجية . وبالاكيد ان هذا الضغط الهائل يؤثر على رؤية الانسان العربي للحرية . وبدلاً من الرؤية السابقة والشبه متجانسة تقريبا اسان المسح الديني العام للمجتمع العربي حيث كانت الدبابة الاسلامية تضع الخطوط الفكرية الكبرى التي تنتظم الوعي الشعبي العربي ، حلت رؤيا جيدة غير منظمة تسعى لتلمس بدايتها . وهذا التلمس متعدد الاشكال ومعرض للاجهاض او لاهراجعة او للنقض بحدة وفي فترات زمنية قصيرة . وعندما تطورت الحركات الجماهيرية على الارضية العربية واخذت تدخل ساحة الممارسة الثورية ظهرت ثقة مهمة بان هنالك نضالاً جماعياً من أجل ضمان الحرية للانسان . ولكن مع ذلك تبدي شيء جديد .

ذلك هو ان النضال نفسه اخذ يتلوى تحت ظلال التقليد البورجوازي أو الاقطاعي فظهرت في التنظيمات التقدمية اخطاء كثيرة سواء اكانت في (البنية) الاجتماعية او فسي العلاقة بين (القيادة والقاعدة) او في تحديد (الاستراتيجية والتكتيك) او فسي المسائل التكتيكية .. الخ . وبنوع او بأخر حدث ارتجاج بين مفهومين واقعيين

المفهوم الأول هو ان الحرية لا يتم تظهيرها الا بالنضال الجماعي (عن طريق الاحزاب الثورية او المنظمات او النقابات او الجمعيات .. الخ) والمفهوم الثاني ان الحرية نفسها تشوهت عند العديد من التنظيمات الثورية بما حدث فيها من (دكتاتورية او عبادة الفرد او بروز الطابع الطائفي او الكهنوتي او حلول الميكافيلية ...) وهذا الارتجاج انما يعكس حقيقة المجتمع العربي المزدهمة بالتناقضات الكثيرة . ولما كانت الحرية ليست مفهوما طوبائيا فهي وبحسب وطأة هذا الازدحام الفوضوي في التركيبات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .. في العالم العربي تعرضت لحجر قاس ، بل ان الحرية نفسها شلت في قطاعات واسعة الى درجة انه يصدف وجود مواطن عربي لا يفهم ماهية الحرية . ان منطقة ريفية كبيرة يحكمها رجل اقطاع شديد ويمارس اوسع السلطات وبشكل مطلق ازاء رعاياه (من الفلاحين الذين يحصيهم كما تحصى الماشية !) ، هذه المنطقة بكامل سكانها يعتبرون ان من حق (الشيخ الجليل !) ان يقيد الفلاح المظيء بحفه بـ (السلسلة) وفي (ساحة المصيف - ديوان رجل الاقطاع الذي يواصل فيه اجتماعه برجاله -) او يعتمد الى كيه او ربما الى قتله او الى طرده من ارض العشيرة - الى آخر ما هنالك من وسائل التعذيب القديمة . فهناك اذن نموذج للفلاح الذي يؤمن بعبوديته الكاملة وبسيادة (الشيخ) الشرعية (كذا ؟) بحيث يكون أي نقاش حول منافية وسائل الاقطاعي للحقوق الانسانية مبعث غضب هذا الفلاح . بل ان هناك ما هو ادهى : (ان يتصل فلاحو منطقة بالسلطة طالبين عدم شمولهم بتطبيق قانون الاصلاح الزراعي لانهم متفقون على علاقاتهم السابقة مع (الشيخ) (٣) . وهناك نماذج أخرى في المدن ، عمالية او بورجوازية صغيرة ، تحمل هويتها القديمة هوية جذرها الريفي وقد تشكل هذه النماذج عقدة - تتوضح مضاعفاتها بعد مضي فترة من الزمن (٤) .

فقدان الحرية للعامة يستوجب النضال من أجل الحرية :

اذن ففي الواقع العربي تآمرت عدة قوى على سلب حرية الانسان العربي - فردا وجماعة - فهناك القوى الطبقيّة الاستغلالية التي تلجأ الى أبشع وسائل الاضطهاد وكبت الحريات ، وهناك النظم السياسية الرجعية التي تمثل نفسها حامية لمصالح الرجعيين والبورجوازيين ، وهناك الاستعمار العالمي المقتنع وراء نتاج الحضاري المتورم . كل هاتيك القوى عقدت اتفاقية المصلحة ضد ارادة الشعب العربي وحرته ، واقدمت على اخيب الوسائل وأمكرها في الحقل المادي قناعة منها بأن هذا الحقل منه تنطلق الحقل الأخرى . فقاومت نشوء (الصناعة الثقيلة) لمنع ظهور طبقة بروتيتارية متماسكة ثوريا وتنظيميا ، وحاولت اخضاع الريف لعلاقات زراعية بدائية لبقاء الفلاح على تخلفه وعدم تبلور وعيه الثوري ، وسعت الى تحطيم صفات المثقف الثورية عن طريق الرشاوى والامتيازات المنوحة بسخاء وعن طريق بث الفكر التحريفي والانهزامي والذاتي اليأس . ونصبت لها كوادرا عاملين بمهارة لامرار مخططاتها واشاعتها ، ولزرع التجزئة والتناحر الداخلي .. الخ . وكانت الحصيلة ان المواطن العربي - على الاعم والاعلى - ظل

٣ - ان ما اذكره من امثلة لا يعني الفلاحين عموما اذ ان هنالك فلاحين يمتلكون اصالة ثورية مشرفة ، بل ان هنالك عشائر فلاحية ذات تقاليد ثورية عريقة .

٤ - من الامثلة التي تطرق ذهني ان احد (المناضلين) الذين تظاهروا بحماس عام ١٩٥٦ تأييدا للشعب العربي في الشقيقة (مصر) وكان ان عانى مضايقات عديدة من قبل سلطات (نوري السعيد) فقد فاجاني في أحد الايام وهو يتحدث بحرارة عن (فضائل عشيرته !) ويتفاخر كاي جاهلي قديم !

وشخص آخر يتحدث كماركسي - لينيني (!) لسم يحجم عن الافراط بالحديث عن (الاشباح) و (الخرافات) و (الدور المسكونة) و (حلول ارواح الموتى من البشر في اجساد الحيوانات !)

يعاني بمرارة من وطأة هذا التآمر المدعوم بالفكر الفيبي الرجعي والتقاليد العتيقة والجمادة . ومعاناهه هذه تحتاج الى تمردات عديدة يستندنها اولا وقبل كل شيء ضد نفسه وبرفقة فضاياه الاجتماعية المطورة بأسلوبه الجديد ، علما بان التظهير الذاتي لا يتم اطلاقا بمعزل عن النضال ضمن اتيار الاجتماعي العام .

ان مبررات النضال من أجل الحرية تنطلق من الخلفية الواقعية الآتية :

١ - الفلاحون الذين يشكلون نسبة ٨٠٪ من المجتمع تقريبا متخلفون ولا يمكن تحريرهم بالتوعية بل بأعطائهم الارض اولا .

٢ - المنتجون الصغار والحرفيون واصحاب المهن العادية . وهم ايضا يشكلون نسبة ليست صغيرة . وهؤلاء ايضا متخلفون وملفسون بالادواهم والخرافات ولم تفتح امامهم مجالات لتطوير وضعهم المادي .

٣ - العمال لم يتوصلوا بعد الى وعي مكانتهم الثورية والقيادية الواجبة . وتمتلىء اذهان الكثير بأفكار بدائية او سطحية تطفي عليها اغلب الاحيان النزعات الانانية والفكر الفيبي والعادات المتوارثة . وهم لم يوقفوا - ما عدا في بعض المناطق - الى نيل حقهم المشروع ماديا وسياسيا .

٤ - أما الناحية الثقافية فهناك سطوة خاصة للفكر الرجعي في اغلب القطاعات العربية . واغلب دهافنة الفكر توقفوا عن حدود معينة دون أي انفتاح على الفكر التقدمي . وقد جاء الانفتاح متأخرا ومع ذلك لم يفلح في أن يأخذ وجوده التماسك . وبالنسبة للسوق يتضح ببساطة ان (المكتبات) تنفق الى الكثير من الكتب الحيوية لا لعدم وصولها بل لان (الكتاب) قد يشكل مادة تجريم ضد صاحبه (٥) .

اذن فالانسان العربي معزول قسرا عن دوره الذي ينبغي . انسه محاصر ومضيق . وهذه المحاصرة التي وصلت الى حد المأساة ليست محاصرة فكرية فحسب بل هي فخر كامل وعات ، اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية . ولهذا فالانسان العربي ينزف دما دوما وجراحاته

٥ - من الشواهد التي لا يستطيع المرء ان يتناساها ان المكتبات في العراق سابقا (ما عدا الفترة التي اعقبت حكم ١٧ تموز التقدمي حيث امتلات المكتبات بانواع الكتب الهامة ولم تمنع الا الكتب المسمومة والتي تدخل ضمن مخطط ثقافي استعماري صهيوني) قد فرغت من الكتب الثورية واضحى الكتاب مستمسكا للتجريم .

●● وبالنسبة لي كمواطن عادي عانيت اقل مما عاناه الكثيرون لا انسى اني حرقت حوالي اكثر من (ألف كتاب) .. لماذا ؟ لان التحريات كانت قائمة على قدم وساق لتحطيم حرية الفكر وحجب اسط الحقوق البشرية . ومن بين التحريات التي تعرضت لها زمن حكم (عبد الكريم قاسم) كان ان استحصلوا على الدليل المشهود السذي يدينني وهو (كتاب) ! . وكانت النتيجة احوالي الى (المجلس العرفي العسكري) بتهمة سياسية . ولعل من المضحك حقا ان الكتاب هو - للاستاذ (قدرى قلعي) واسمه (تجربة عربي في الحزب الشيوعي) وهو في الاساس ضد الحزب الشيوعي بشكل كامل ، ولكنني حوكت على ضوئه كشيوعي !! والعلم في الغيب !

●● وكذلك لا انسى ان متابعة طويلة - قديما - من قبل بعض رجال الامن ورائي وذلك لان بيدي كتابا ضخما . اذن فالمسألة علسى جانب كبير من الخطورة ، ان يحمل الانسان كتابا ، وكتابا كبيرا ؟! واستمرت المطاردة - من قبلهم اما من قبلي فقد كنت اتمشى - حتى أمسكوا بي وقبضوا على الكتاب الخطير ، وقد كان الكتاب هو - (المنجد) لا غير !

ان هذه الاشياء القديمة تعكس اضطرابا كبيرا فسي عمل الاجهزة الرسمية ، ولعل مما يهيج حقا اننا الآن في العراق نعيش حياة جديدة تتجاوز كل الاخطاء السابقة والسلبات بعد ان أدرك الجميع ان الذي يجهز على حرية الفكر انما يرسم لنفسه مصيرا ليس حسنا بأي حال .

من سفر الوصايا

(مهداة الى ياسر عرفات واخوته المناضلين)

- ١ -

لا تضعوا الايدي الناعمة الملمس حول الكتفين ..
كثعبانين
لا تلقوا في الاذنين أناشيد الاطراء
لا تسقوه من الخمرة ذات الخدر الاعمى
ودعوه كما انبثقت نافورة ماء ..

في صحراء

ساق .. مكسو بلحاء

ينطلق بأجنحة الليل ، ويقفز فوق جسور النار

- ٢ -

لا تدعوه الى الظل ليسترخى فيه ، ويحلم بالعربات
والحرس الواقف - حول البيت - وبعض نكات
او همسات التليفونات

فيجف العود ، ويحلم في أبراج العاج

أحلام ذوي التاج

من صلبوا كلمات الشعراء على أعواد الاضلاع

من جعلوا الاعين لا تنظر الا في استحياء

من مدوا مائدة العار لتنهش منها الفرمان صباح مساء

- ٣ -

ولتندرد نفسك للريح ، وللخيمة ، وذوي الطلقات

وحين يمور الدم ، ويركض في الاوردة ، وفي الاعصاب

لا تطربك سوى القبضات تدق على سور الظلمات

- ٤ -

لا تجلس بوق بساط ذوي الكلمات المفسولة بالصابون

المتفوعة في محلول الافيون

الفارغة كفقاعات هواء في الماء

وتفرقع في حنجرة الحكماء كقرقعة العربات

- ٥ -

لا تترك من نبذوا الراحة ، من حملوا الرايات لما هو آت

من ضموا الاطفال ، وشموا قمصانهم الزاهية اللون

حبسوا الدمعة في العين

حملوا الاسلحة ، وذابوا في اودية الليل

في كل صباح قد يرجع منهم من يرجع ...

لكن قد كفئوا أوعية العار

وراء جدار ..

غسلوها بالدم

كيلاني حسن سند

القاهرة

من سنان امسكتها يد (عربية) ، يد رجعية لا تجيد سوى طعن ابنساء
البلد وتنصب من نفسها كلب حراسة لمصالح الامبرياليين والصهاينة
في أرضنا .

أزمة المجتمع العربي أزمة حرية داخلية :

ان المجتمع العربي الكبير في رقعته وفي تاريخه وفي حضارته وفي
ملايينه البشرية لم ينتكس في (ه حزيران) لولا فقدانه الحرية . وهذا
الفقدان الكبير جدا قد وضع الامة العربية في موضع عدم التمكن على
المجاهاة . ولان الجماهير أيضا تعيش غيابا سياسيا - تعلن عن تمرداها
عليه كل حين - وهذا الغياب لا يعني انها تجهل قضيتها ، بل بالعكس
انها تدركها حتى الصميم ولكنها بينها وبين قضيتها الف حاجز وعائق .
ان غيابها السياسي هنا هو أنها لم يسمح لها ان تمثل نفسها ، ان
تختار نظمها الثورية التقدمية . ولهذا فهي مشفولة في الداخل لتناضل
من أجل اظهار صوتها .

والأزمة سياسيا - في الداخل - تنعكس من حقيقتين : الاولى
حقيقة وجود حكومات عربية رجعية في بعض الاقطار عملت لفترة طويلة
على وضع العثرات امام تحرك الجماهير الثوري . والثانية : حقيقة
نشوء حكومات وطنية عربية انساق وراء فكر البورجوازية الصغيرة
وأخذت تنظر بخوف الى تنامي وتصاعد النشاط الجماهيري وتحرره
الناجز فأقامت شركا خاصا حول الحرية وخلقت نوعا من عدم الثقة
بينها وبين الجماهير .

وبالنسبة للحكومات الرجعية العربية فانها احجبت وبشكل
ارهابي حملات القمع والتعذيب ضد الشعب وهي في ذلك أكدت ورائتها
لكل الفرائز الوحشية ول (الحرية الحيوانية الهائجة في العصر
الهمجي) وعممتها بأسلوب حديث يتناسب مع (مكاناتها السامية !) .
اما بالنسبة للحكومات الوطنية فهي مع اطلاقها بعض الحريات لم
تتوان عن تقليد اظافر هذه الحريات بالشكل او بالطريقة التي ترتاح
لها هي .

ولكن تجربة النكسة في حزيران قد رفعت وبصوت مدو شعار ان
حرية الجماهير ، حرية الانسان العربي هي وحدها التي تخلق الانسان
المقاتل ، الانسان الذي يعرف كيف ومتى يتصدى لاسرائيل . ولهذا تظل
المعركة مع اسرائيل وحمايتها الامبرياليين ليستمن صالح الشعب العربي
اذا لم يتحرر (الانسان العربي - المجتمع العربي) تحررا داخليا مؤكدا .
وان الخبرة والتجارب الثورية في العالم برهنت بما لا يدع مجالاً للشك
ان قضايا الشعوب لا يمكن انجازها عن طريق (الوساطات) الخارجية
او العون الخارجي بل عن طريق يأتي في المقدمة وهو طريق الثقة الكلية
بقدره الشعب على صنع مستقبله ومصيره . وان الشعب الحر هو
وحده المتمكن من كيل الضربات الثورية لاعدائه الخارجيين . واذا كانت
الحرية قانونا عاما في كل الاشياء ، فلماذا لا تترك للجماهير العربية
حرية اختيار طريقها الثوري ضمن فهمها لضرورات وجودها وحياتها ؟ ..
اوليس هذا الاختيار هو المنطق الوحيد الصارم الذي تهابه الرجعية
الصهيونية !؟

عزير السيد جاسم

بغداد

منشورات دار الاداب

تطلب في دمشق من وكيل الدار

مكتبة النوري

شارع سنجدار